

## 238438 - اليأس من صلاح النفس هل يقود إلى القنوط من رحمة الله ؟

### السؤال

أنا شاب عادي غير ملتزم ولي أخطاء كثيرة ، محافظ على الصف الأول لجميع الصلوات من عامين حتى الآن . والفضل لله . ، أصلي السنن الراتبة ، وأتصدق يوميا ، كافل يتيم ، أصوم نافلة ، أقرأ القرآن يوميا ، أصلي قيام ، أذكر الله دائما ، استغفر 10000 مرة تقريبا في اليوم ، لا أعتاب أكثر أحياني إلا في بعض أوقات الغضب ، أفقه نفسي الدين من خلال الدروس والكتب ، أحاول أن أغض البصر . والله يعلم أقول هذا ليس غيبة ولا عجب بالنفس بالعكس بل أريد أن أعرف لماذا مع هذه العبادات التي من الله بها علي أميل إلى اتباع الهوى ؟ دائما أدعوا الله أن يجنبي الفتن والشهوات وإتباع الهوى والرياء والنفاق ، أذنب ذنبا بشعا كل فترة طويلة ، ثم أندم ندما شديدا وأتوب إلى الله ، كررت الذنب 6 مرات وتبت إلى الله أرجو الله أن يتقبلها توبة نصوحا ، أتاني إحباط من نفسي ، يأس من صلاح النفس ، صرت أكره نفسي ، أرى نفسي إنسانا فاسدا أتمنى أن أموت قبل أن أذنب هذا الذنب مرة أخرى ، أحب طاعة الله ، أتلذذ بطاعته عز وجل أذهب إلى الصلاة بشوق ، أنتظر الصلاة لأرتاح بها والله ، لكن لا أستطيع أن أصد هواي مرات كثيرة حتى بالعبادة أو بالدعاء ولا ألوم الله عز وجل بل نفسي والشيطان . وسؤالي : هل اليأس من صلاح النفس يوافق القنوط من رحمة الله أو يعارضها ؟

### الإجابة المفصلة

نعم ، اليأس من صلاح النفس وكفها عن المعاصي قد يقود إلى القنوط من رحمة الله ، لأن الله تعالى يقول : ( قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ) الزمر/53 .

فَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّ مِنَ الْعِبَادِ مَن يَيَاسُ مِنْ رَحْمَتِهِ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ أَوْ إِصْرَارِهِ عَلَىٰ ذَنْبٍ مَّعِينٍ ، فَطَمَّئِنَّا بِهِمْ وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ مَهْمَا تَعَدَّدَتْ وَكَثُرَتْ ، أَوْ عَظُمَتْ وَتَكَرَّرَتْ .

وحينئذ ، فالحذر الحذر من أن تياس من صلاح حالك ، أو تُصاب بإحباط ، فإن ذلك سيفرح الشيطان ، ويعظم المعصية في نفسك ، ويصغر طاعاتك في نظرك ، حتى تزهد فيها أمام تلك المعصية فتترك التوبة والطاعات بالكلية .

بل استمر على ما أنت عليه من الطاعات ، وثابر عليها ، وثب إلى الله كلما فارقت معصية ، فإن عُدت وكررتها تُب المرة الثانية والثالثة وهكذا ، ولا يمل الله حتى يمل العبد ، والله يحب عباده التوابين ، قال الله تعالى : ( إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَابِينَ ) البقرة / 222 ، وقال جل شأنه : ( وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ دَكَرُوا اللَّهُ فَاسْتَغْفَرُوا لِدُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ ) آل عمران / 135 .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) . حسنه الألباني في " صحيح ابن ماجه " (3427) .

لكن الذي يجب عليك حقا : ليس هو الاستسلام إلى اليأس من صلاح النفس ، فهذا حل مريح لها ، وإطلاق لعنان الهوى والشهوات .

بل أن تقف مع نفسك وقفة جد ، تغير بها نمط حياتك ، وتنظر : من أين ينفذ الشيطان إليك ، فيوقعك المرة بعد المرة .

فإن كانت فتنتك في النساء : فتزوج ، واحدة ، وأكثر من ذلك ، إن قدرت عليه ، واحتجت إليه . وانظر إلى سبل الغواية ، من أين تنفذ إليك سهام عدوك ؛ فإن كان من صحبة السوء : فغيرها ، وإن كان من بلدك ، فاهجرها ، وابحث عن بلد وصحبة تعينك على نفسك ، وهواك وشيطانك .

فاحذر من الأمرين من اليأس والقنوط ومن ترك نفسك فريسة للإهمال والتفريط ، فلا تعالج داءها ، بل تظل تسهل لها خطوات الشيطان ، وتدع منافذك مفتوحة مشرعة أمام عدوك ، حتى إذا أصاب منك المقتل ، وكانت الداهية : جلست تبكي ، كما يفعل العجزة والضعفاء ، وتندب حظك ، وتشكو حالك .

قال ابن القيم رحمه الله :

" وأضر ما عليه : الإهمال ، وترك المحاسبة ، والاسترسال ، وتسهيل الأمور ، وتمشيتها ؛ فإن هذا يؤول به إلى الهلاك .

وهذه حال أهل الغرور: يغمض عينيه عن العواقب ، ويمشئ الحال ، ويتكل على العفو، فيهمل محاسبة نفسه ، والنظر في العاقبة.

وإذا فعل ذلك : سهل عليه موقعة الذنوب ، وأنس بها ، وعسر عليها فطامها !!

ولو حضره رشده : لعلم أن الحمية أسهل من الفطام ، وترك المألوف والمعتاد".

انتهى من "إغاثة اللهفان" .

ولا يُظن بك مع هذا الحرص على الخير والعبادات وكفالة اليتيم أن تكون من هؤلاء ولا هؤلاء ، فالتفت إلى نفسك وراقب مواطن الخلل والضعف منها ، أحسن الظن بربك فإنه القائل (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [الرحمن: 60]

وانظر أجوبة الأسئلة أرقام : (9231) ، (45887) ، (214787) .

والله أعلم .